العدد (1943) السنة الثامنة - الأحد (24) تشرين الأول 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

على هامش الصراحة

القطاع المختلط

إحسان شمران الياسري

أُنشئت شركات القطاع المختلط من شراكة القطاع العام مع القطاع الخاص بهدف المزج بين خبرة القطاع الخاص ومهنيته ورغبته في تحقيق المنافع، وبين هيبة القطاع العام وأمواله وقدرته على المبادرة، وإمكاناته في الوصول إلى مختلف مفاصل الدولة والحصول على التسهيلات منها.

وقد بدأت هذه الشركات بداية رصينة مازال جيلنا يتذكرها، ويتذكر منتجاتها المهمة التي غطت السوق العراقية لسنوات، ولا أدري إن كانت بعض تلك المنتجات قد وصلت إلى السوق الخارجية.

لقد بدأت شركات القطاع المختلط بأعلى السقوف المتاحة، فحصلت على أفضل قطع الأراضي في بغداد والمحافظات، وشيّدت أفضل الأبنية، وحصلت على آخر منجزات التقدم العلمي العالمي في الميادين التي عملت فيها (ولا فرق إن كانت قد بدأت قطاعاً مختلطاً أم تحولت لاحقا إليه)..

بعد مسيرة مجيدة لهذا القطاع، بدأ التضخم يأكل عافيته، مثلما أكل عافية الاقتصاد العراقي غداة الحصار الاقتصادي عام ١٩٩٠، وحاولت الحكومة أن تستظهر آثار التضخم على التقارير المالية التي تصدرها شركات القطاع المختلط فيما قد يمكّنها من معالجة الاختلالات الكبيرة التي كانت تعمل بها تلك الشركات، فأصدرت قراراً بإعداد القوائم المالية بنموذجين، الأول وفق التكلفة التاريخية، والآخر وفق التكلفة الجارية كما فعلت البرازيل ودول أخرى أبلى فيها التضخم بلاءه.. إلا إنها عدلت عن القرار بعد ان ادركت حجم الهوة التي اوقعنا بها هذا التضخم، وتركت موجودات هذا القطاع وبعض رؤوس أمواله تتآكل تحت اخفاقات بعض الادارات بذريعة وخدعة تحقيق الأرباح اعتماداً على الكلف التأريخية للموجودات المخزنية وتدني قيم الاندثارات التي لم تعد تمثل شيئاً يذكر.

وصارت إدارات تلك الشركات تصدر القوائم المالية بنتائج أرباح عالية توزع على المساهمين وتتسلم إدارات تلك الشركات مكافآتها نهاية السنة والمزيد من الثناء على تلك النتائج !!، بينما كانت تسجل مدخلات الإنتاج بالكلفة التاريخية المحسوبة بواقع ثلاثة دولارات للدينار الواحد، فيما كان الدولار الواحد بـ(سلة دنانير)!!

ومع ذلك، مازال القطاع المختلط يملك أفضل الأراضي وأفضل الأبنية وربما أفضل البنى التحتية.

ما قد يقلقنا هو تحوّل هذا القطاع إلى قطاع خاص بعمليات مدّبرة أو أخطاء إدارية، من خلال انخفاض حصة الدولة بسبب عدم تركيز اجهزتها على آليات الرسملة ونسب المساهمة، إضافة إلى حرص (سطحي) على تجنيب الدولة المساهمة في شركات تبدو في الظاهر (خاسرة).. إن القطاع المختلط احد مفاخر امتنا، وإن الشكل القانوني والبناء المؤسسي له، فضلاً عن الاملاك الغالية المسجلة باسمه، أمانة بأعناق المعنيين، وأولهم وزارة الصناعة وبقية الجهات القطاعية التي تتبع لها شركات هذا القطاع، إضافة إلى الأجهزة الرقابية، وفي مقدمتها مفخرة امتنا الأخرى (ديوان الرقابة المالية)..

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

"شمس القرن ٢١" يختار ولي عهده

يقال أن الزعماء الديكتاتوريين في العالم الثالث لا يؤرقهم سوى مسألة غيابهم عن السلطة، لذا يحاولون التشبث بها وإطالة أمد استمرارهم في الحكم إلى أقصى حد، فإن اضطروا اضطرارا إلى الغياب عن المشهد السياسي تحت ضغط العجز واشتداد المرض فإنهم يحاولون أن يضمنوا على الأقل أيلولة السلطة إلى واحد من سلالتهم.

وربما هذا وحده يفسر ما حدث أخيرا في أكثر دول العالم غموضا وشمولية وهي كوريا الشمالية، حينما عين الزعيم "الغالي" و "شمس القرن ٢١ " كيم جونغ إيل، المصاب بالوهن والضعف الناجمين عن شراهته للطعام والشراب وحبه للسهر واللهو، أبنه الأصغر "كيم جونغ أون" (٢٧ عاما) كخليفة له على عرش هذه الجمهورية الاشتراكية الستالينية.

د. عبد الله المدني

وما حدث أكد ما تناوله مراقبو الشؤون الكورية منذ أكثر من عام، حينما ذكرت مصادر صينية ويابانية وكورية جنوبية أن شكلا من أشكال التنافس يدور في أوساط "آل كيم" حول خلافة والدهم، وأن الأخير قد حسم الأمر لصالح أبنه الأصغر "كيم جونغ أون" متجاوزا بذلك إبنه الأكبر "كيم جونغ نشول" بسبب ميوعته التي لا تليق بقائد سوف يدير نظاما جديدا ودولة بوليسية، علاوة على الفضيحة التي تورط فيها في مطار "ناريتا" الياباني في عام ٢٠٠١ حينما أوقفته السلطات اليابانية وهو يحاول دخول طوكيو باسم صيني مستعار، وجواز سفر مزور تابع لجمهورية الدومنيكان، من أجل زيارة مدينة الألعاب الأمريكية "ديزني لاند"، ومتجاوزا أيضاً أبنه الأوسط "كيم جونغ نام" لأسباب غير معروفة، علما بأن هذا الأخير شقيق للابن الأكبر "كيم جونغ نشول"، وأمهما هي الراقصة السابقة "كيم يونغ هي"، إحدى محظيات الزعيم "الغالي" والتي ماتت بالسرطان في عام ٢٠٠٤ في ظروف غامضة، علما بأن هذه الراقصة ولدت في اليابان لعائلة كورية كادحة أنتقل ربها لاحقا إلى بيونغيانغ في الستينات مدفوعا بأوهام العدالة والإنصاف في جنة الاشتراكية الكورية.

وهكذا عرف العالم للمرة الأولى أسم زعيم كوريا الشمالية المقبل، وشاهدوا صورته التي وزعتها وكالة أنباء بلاده الرسمية، والتي بدا فيها صاحب شفاه غليظة وكرشة متدلية ورقبة عريضة، وهو ما أعطى انطباعا سلبيا في بلد يئن شعبه من الجوع والفاقة والمرض. أما الكوريون الشماليون فقد أيقنوا أن أمل التغيير في بلادهم بات بعيد المنال طالما أن "آل كيم" يتناوبون على السلطة جيلا بعد جيل.

غير أن السلطات وهي تنشر صورة "كيم جونغ أون" حرصت على أن تكون الصورة جماعية، بمعنى جلوسه إلى جوار والده وأثنين من كبار قادة الجيش الكوري الأحمر، وذلك بقصد إرسال رسالة لمن يعنيه الأمر أن "كيو جونغ إيل" لا يزال هو القائد "الغالي" وأن أبنه مجرد "ديكتاتور" صغير تحت التمرين.

وتزامن الإعلان عن اسم هذا الشاب اليافع عديم الخبرة كخليفة لوالده مع خبر إنعام الأب على أبنه الشاب برتبة جنرال بمناسبة انعقاد المؤتمر العام لحزب العمال الشيوعي الحاكم، علما بأن هذا المؤتمر لم ينعقد سوى مرتين من قبل، كانت الأولى في عام ١٩٥٨ وخصص لتعزيز الوحدة الوطنية والتلاحم الداخلي خلف قيادة القائد المؤسس "كيم إيل سونغ"، والثانية في عام ١٩٦٦ وخصص لتحليل الأوضاع الدولية والإقليمية وبيان موقع الحزب داخل معسكر الاشتراكية العالمية.

كما تزامن هذا التطور مع تطور آخر تمثل في استحداث ما سمي بـ "لجنة الحزب العسكرية" مع إسناد رئاستها إلى الماريشال العجوز "ري يونغ هو" الذي ظهر في الصورة الرسمية آنفة الذكر جالسا ببزته العسكرية الرمادية ونياشينه وقبعته المشابهة لمقلاة البيض العريضة إلى جانب زعيم البلاد وخليفته. ويقول البعض إن استحداث هذه اللجنة لا قيمة فعلية له على اعتبار أن مركز الثقل العسكري يكمن في "لجنة الدفاع الوطني" التابعة للحزب الحاكم والتي يتولى "كيم جونغ إيل" قيادتها شخصيا، غير أن البعض الآخر لا يقلل من قيمة اللجنة الجديدة ويقول أنها استحدثت خصيصا لتكون مدرسة يتدرب فيها زعيم البلاد المقبل، خصوصا مع تعمد منح قيادتها إلى الماريشال العجوز الذي أفنى عمره في إدارة مدارس التدريب الحربية التي خرّجت مئات الآلاف من العناصر العسكرية الأكثر بأسا وتحملا على الشدائد في العالم، والأكثر اعتناقا لظاهرة عبادة الفرد.

وإذا ما صح الرأي الأخير فإنه ينتظر أن يأخذ الماريشال العجوز بيد الشاب اليافع، يعلمه ويطوف به على منشآت البلاد العسكرية، ويعرّفه على طبيعتها وكيفية التحكم في أسلحتها التدميرية والبيولوجية والكيماوية من تلك التي توجد مفاتيحها حاليا في يد "شمس القرن ٢١ "، ناهيك عن تدريبه على كيفية إدارة جيش ضخم قوامه أكثر من مليون جندي ،علاوة على أربعة ملايين من عناصر الاحتياط المدربين والمشبعين بقيم الولاء والدفاع عن الزعيم الفرد وسلالته. كما يُنتظر أن يتعاون العجوز والشاب من أجل وضع الخطط الضرورية لتفعيل سياسة "كيم جونغ إيل" المعروفة باسم "الجيش أولا".

على أن الماريشال العجوز لن يكون وحده المصدر الوحيد لتأهيل زعيم المستقبل قبل إمساكه بالسلطة، وبقيادة الجيش الأحمر، وحصوله على عضوية اللجنة المركزية للحزب الحاكم. فهناك السيدة النحيلة ذات البزة الخضراء الخالية من النياشين حاليا، ونعني بها "كيونغ هوي" (٦٤ عاما). وهذه، التي أنعم عليها "كيم جونغ إيل" مؤخرا برتبة جنرال أيضا وعينها في اللجنة المركزية لحزب العمال الحاكم، ليست سوى أخت الأخير، ونائبته في رئاسة "لجنة الدفاع الوطني"، وعمة زعيم البلاد المقبل.

وفي هذا السياق يقول البعض أنه إذا لم يثبت "كيم جونغ أون" قدرات فذة لجهة خلافة والده، أو حدث صراع داخل المؤسسة العسكرية بعد وفاة القائد الحالي، أو حدث ما يعيق تعاون الماريشال العجوز مع الشاب اليافع بسبب خلفيتهما المتباينة والفارق الكبير بين عمريهما (الأول متخرج من الأكاديمية العسكرية الكورية الشمالية ويفكر بعقلية حقبتي الحرب الكورية والحرب الباردة، بينما الثاني متخرج من جامعة "كيم إيل سونغ")، فإن الحسم سيكون على يد هذه السيدة المتسلطة، المتزوجة من رجل يطمح هو الآخر في الوصول إلى قمة السلطة في "بيونغيانغ"، وهو زوجها "جونغ سونغ تائيك".

وبسبب الطبيعة الشمولية للنظام الحاكم في بيونغيانغ، وحرصه على التعتيم ولاسيما حيال كل ما يتعلق بالأسرة الحاكمة، فإنه من الصعب معرفة الكثير عن زعيم كوريا الشمالية المقبل. حيث لا نجد سوى ما نقلته وكالة الأنباء الرسمية ونشرات الحزب الحاكم من أن "كيم جونغ أون" متخرج من الجامعة التي تحمل اسم جده المؤسس (يقال أن الرجل لم يكن يحضر صفوفه الدراسية، ويستعيض عنها بمدرسين خصوصيين يحضرون لتدريسه في قصر والده) وأنه التحق لبعض الوقت بمدرسة خاصة في سويسرا (حيث عومل كأي طالب عادي، وأجبر على الانتظام في الدراسة، وممارسة بعض الألعاب الرياضية الشاقة كالتسلق وغير الشاقة ككرة السلة). ومما ذكرته ماكنة الدعاية الكورية الشمالية عنه أنه عبقري في مجال هندسة المدافع، وحجة في هندسة الحاسوب الآلي، ويرجع له الفضل في نجاح إطلاق الصواريخ الكورية الشمالية في نيسان/ إبريل من عام ٢٠٠٩، وفي التحضير لمهرجانات الألعاب النارية السنوية بمناسبة عيد ميلاد جده "كيم إيل سونغ".

غير أن هناك مصدراً مهماً آخر وأكثر مصداقية لجهة معرفة المزيد عن الرجل وطباعه واهتماماته وحياته الخاصة، هو الكتاب الذي ألفه الياباني "كينجي فوجيموتو" في عام ٢٠٠٣ تحت عنوان "كنت طباخا لـ "كيم جونغ إيل". ويعتبر "فوجيموتو"، الذي عمل لمدة ١٣ عاما طباخاً في قصور "آل كيم" قبل أن يفر إلى بلاده في عام ٢٠٠١ ويعيش مذاك محاطا بحراس الأمن الذين وفرتهم الحكومة اليابانية له تفاديا لاحتمالات اغتياله أو خطفه من قبل مخابرات بيونغيانغ، هو أول من تنبأ بأن ولاية العهد في بيونغيانغ ستؤول إلى الابن الأصغر وليس إلى الابنين الآخرين، وذلك استنادا إلى ما تابعه ورآه داخل أسوار قصر الزعيم "الغالي".

من بين الأمور التي ذكرها المؤلف في كتابه، أن "كيم جونغ أون" أعتاد أن ينادي والده بكلمة "بابا" داخل القصر، أما خارجه فكان يشير إلى أي أمر صادر من والده بأنه جاء "من أعلى". وفي مكان آخر يقول "فوجيموتو" أن "آل كيم" كانوا ينادون الصبي باسم "الجنرال الصغير"، وهو ما أحتج عليه ذات مرة أمام عمته قائلا: "لماذا تصغرونني وتصفونني بالجنرال الصغير". بعد تلك الواقعة التي شاهدها "كيم" الأب – والحديث لا يزال للمؤلف – أمر الأخير أن ينادي الجميع أبنه الأصغر بالجنرال "كيم جونغ أون". ويشير "فوجيموتو" في صفحة أخرى من كتابه إلى أن الصبي كان تواقا دوما إلى ممارسة دور الزعيم والقائد، حتى مع أقرانه الصغار عند ممارسة رياضة كرة السلة بدليل "أنه كان يزجرهم في أغلب الأحايين، ويوجههم أو يشجعهم أحياناً"!

العولمة ودور الثقافة في تحديد سياستها

أوس عز الدين عباس

كان العلماء والمثقفون الغربيون الأوائل يسيطرون على جميع ثقافات الشعوب اللاغربية ويعتبرونها ثقافات مختلفة ، ولم تصل بنظرهم الى مرحلة الارتقاء والتطور التي وصل إليها العالم الغربي الصناعي ، وهذا التخلف بنظرهم يعتبرونه بأنه راجع الى طبيعة العقل اللاغربي وهو العقل السلبي نفسه ، والذي يرتبط بالماضي ولا ينظر إلى المستقبل ، ولذلك فأن حياة تلك الشعوب تميزت بالجمود وانعدام الحركة والتي هي سر التقدم لدى شعوب العالم كافة . وأتخذ الغرب من هذه النظرة ذريعة للاستعمار ، تحت دعوة الرغبة النبيلة لديهم في الأرتقاء بتلك الشعوب وإنقاذها من حالة التخلف الاجتماعي والتردي الفكري ، ومساعدتها على الانطلاق إلى آفاق الحياة الحديثة ، حتى يمكنها الاستمتاع بمباهج تلك الحياة قدر الأمكان ، إن لم يكن في استطاعتها الإسهام في تقدمها وتطورها بسبب طبيعة التفكير اللاغربي المتخلف الراكد .

وقد رفض كثير من العلماء الغربيين والمثقفين المعاصرين هذا التوجه القائم على إطلاق الأحكام الصادرة عن تمركز العقل الغربي حول ذاته ، والجهل بالمقومات الأساسية لتلك الثقافات اللاغربية ، فلكل ثقافة مقوماتها وخصائصها الخاصة بها ، ولكي نفهم طبيعة أي ثقافة فلابد من أن ندرسها داخل إطارها وسياستها، وكذلك الظروف التي تحيط بها ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما تعرضت له تلك الثقافة من عوامل خارجية سلبية والتي تمثلت بالاستعمار الغربي أولا ، ثم في تحكم نظام الدولة والرأسمالية العالمية والمؤسسات والوكالات الدولية والتي لا تخلو من التحيز والتعصب للفكر الغربي ، وأن تغيير هذه الأوضاع من شأنه إتاحة الفرصة لتلك الشعوب والثقافات المختلفة ، لأن تنطلق وتسهم في حركة التاريخ الإنساني ، وهذا هو حادث بالفعل ، ولو في حدود ضيقة نسبيا بعد أن حصلت تلك الشعوب على استقلالها السياسي بعد الحرب العالمية الثانية .

وبالرغم من شيوع كلمة (ثقافة) ، واستخدامها في كثير من المجالات والمواقف والتخصصات العلمية المختلفة ، فلا يزال الباحثون يختلفون بنظرتهم حول الوصول الى تعريف واحد دقيق حتى داخل التخصص الواحد ، فمثلا في علم (الأنتروبولوجيا) توجد مئات من التعريفات والتي قد تؤدي الى البلبلة ، لكنها تكشف عن حقيقة صعوبة وتعقد وتعدد أبعاد هذا المفهوم والذي يخفي تحت بساطته الظاهرية أمورا كثيرة ، مثل المبادئ والقيم بين أفراد المجتمع ، ومظاهر السلوك والعلاقات اليومية والتي تحكم هذه التصرفات والعلاقات ، وكذلك تندرج تحته انماط الفكر وأساليب وأنواع المعرفة المختلفة ، إلا أن الثقافة فوق كل هذا تعتبر قيمة في ذاتها كمصدر أساسي لتوعية الحياة وعاملا مهما في تحديد مقومات الهوية الخاصة بالفرد ، والمحافظة عليها ، وأساليب التعامل بين المواطنين والدولة ، وللعالم الأمريكي (كليفورد جيرتز) عبارة مهمة يقول فيها : (الإنسان حيوان معلق في شبكات من المعاني التي ينسجها هو حول نفسه ، والثقافة هي تلك الشبكات) ، ثم يردف ذلك بملاحظة مهمة قائلا فيها : (إن كل شخص ينظر الى تلك الشبكات من زاويته الخاصة ، من حيث الدفاع عن الذات أو الهيمنة على الآخرين ، أي من مركز القوة والضعف وفي ضوء العلاقات اليومية المتبادلة) ، وفي العقود الأخيرة في القرن العشرين ظهرت اهتمامات واسعة لما يعرف باسم (دراسات ثقافية) ، وخصصت بعض الجامعات التي تهتم بها دراسات ودورات لذلك الموضوع ، مما ساعد على دخول كلمة (ثقافة) الى العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلى نطاق واسع امتد الى وسائل الإعلام المختلفة ، كما اتخذ أبعاداً جديدة ومتشعبة لم تكن معروفة من قبل ، وقد وجد هذا المصطلح طريقه الى رجال الحكم والسياسة وكذلك أصحاب القرار ، الذين يستخدمون المصطلح بأساليب وطرق متباينة لكي تتحقق جميع أهدافهم السياسية ، وكما تقول الأستاذة (سوزان رايت) في محاضراتها التي ألقتها عام ١٩٧٧ لمناسبة انتخابها رئيسا لإحدى شعب الرابطة البريطانية لتقدم العلم : (أن المحافظين في بريطانيا استخدموا هذا المصطلح بكثرة في حديثهم عن القومية والمواطنة والانتماء الوطني لكي يبعدوا عن أنفسهم شبهة اتهامهم بالتعصب للعرقية البيولوجية كأساس للمواطنة ، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يضيعون بطريقة ملتوية شروط ثقافية مبهمة ، من شأنها في آخر الأمر استبعاد الكثيرين وإلغاء الانتماء على من تتوافر فيهم تلك الشروط ، وهم بطبيعة الحال الفئات التي تنتمي الى الأعراف الغربية البيضاء) ، وعلى الجانب الأخر أستخدمت منظمة اليونسكو كلمة (ثقافة) في كتابها الشهير بأسم (التنوع البشري الخلاق) ، كأساس لسياسة الأخلاقيات والتنمية العالمية ، وواضح من ذلك أن السياسيين والأكاديميين يستوون في استخدام هذه الكلمة كأداة لوضع خطط وبرامج للمستقبل تتعلق بالتنمية ورسم العلاقات المختلفة بين جميع البشر .

فالهوية ليست فقط حمل جنسية الدولة التي يعيش فيها الشخص ، لكنها هي شعور بالانتماء والولاء وتقبل للقيم والأفكار ، واتباع أساليب الحياة السائدة في المجتمع ومشاركة وجدانية في آمال وطموحات المجتمع ، واندماج عاطفي وفكري مع بقية السكان والمواطنين ، وقد عبر عن ذلك العالم جون باتن وهو وزير في إحدى الوزارات البريطانية في عهد (تاتشر) عن ذلك خير تعبير ، حين نشر في الصحف رسالة بهذا المعنى موجهة الى المهاجرين في بريطانيا ، والتي هي بعنوان (كيف تكون بريطانيا) وحدد بها الجوانب التي ينبغي أن يكون بها هؤلاء المهاجرون ومعظمها متطلبات ثقافية لاتقتصر على إجادة اللغة الانكليزية والتخاطب بها ، لكن أيضا ضرورة التفاعل مع التقاليد والعادات ومظاهر السلوك ، بالإضافة الى ذلك احترام الديمقراطية والخضوع لمبادئها ، ومعرفة أصول الحكم وتاريخ نظام العلاقات بين الناس بعضهم ببعض ، وهو ما يعني تسخير العناصر الثقافية لتكون في خدمة أهداف سياسية تتعلق بالتماسك الاجتماعي داخل الدولة ، ولقد ترتبت على هذه النظرة بعض المفارقات الطريفة ، فالمدافعون عن المساواة بين الأعراق ، باعتباره (مسألة ثقافية ، وإنها مسألة أخلاقية في المحل الأول) ، أصبحوا متهمين بالتعصب ضد البيض ومعاداة العناصر الغربية ، والتي لا تنتمي ثقافياً للغرب وقيمه ، وبأنهم لا يفرقون بين الأهالي الأصليين للدولة والأغراب عنها ، والذين يحملون جوازات سفر الدولة التي أوتهم ، دون أن يتفاعلوا مع ثقافتها ، بالرغم من أن العامل السياسي في المواطنة هو (الثقافة) وليست (السياسة) ، وأن الأصل هو ان يندمج الأغراب في الثقافة الوطنية لتلك الدولة أو يرحلوا عنها .

والواقع أن التغييرات الثقافية التي تحدث الآن في العالم نتيجة للتقدم التكنولوجي وسهولة الأحتكاك بالثقافات الأخرى وعلى مستوى العالم ، والتأثيرات والاستعارات المتبادلة بين الثقافات المختلفة ، والتحركات السكانية الهائلة ، كلها عوامل تدعو جميع الدول الى أن تأخذ البعد الثقافي في اعتبارها ، حيث تصنع سياساتها في الحكم في اتخاذ القرارات المهمة لها في الحياة الداخلية والعلاقات الخارجية على حد السواء ، وهو أمر يتزايد وضوحا في العقود القادمة ، نظراً لتزايد فاعلية هذه الاتصالات التي قد تصطدم مع القيم والأخلاق المتوارثة ، والمثال الصارخ لهذه المشكلة التي تواجه بعض دول الغرب هي بعض العلاقات الجنسية المثلية ، وحق الأشخاص العاديين في ممارستها ، وانقسام الآراء حولها ، فهذه مشكلة ذات طابع ثقافي ، ولكنها تحتاج الى قرار سياسي ، وقد كانت هناك حملة قوية لإظهار ما أطلق عليه (الصورة الأيجابية للعلاقات المثلية) كنمط سلوكي وجزء من الثقافة العامة ، ليقف في وجه الصور السلبية ومظاهر العداء لذلك السلوك ، وسن التشريعات التي تضمن للمثليين حقوقهم في حرية أختيار نمط حياتهم الجنسية الخاصة بهم ، وقد وصل الأمر في بريطانيا الى اتهام القائمين لإصدار التشريع هذا ، بتهمة التمييز بين الناس في ممارسة حقوقهم الإنسانية ، ومعاملة المثليين على أنهم جماعة لاتنتمي الى المجتمع ، شأنهم شأن الأقليات التي لا تحظى بكل الحقوق التي يتمتع بها بقية المواطنين .

وقد كان العالم الامريكي ((مارشال ساينز)) ينظر الى الثقافة ، على إنها أسلوب عام وشامل ومتمايز للحياة في مجتمع معين ، وأن العالم يتكون من مجموعة كبيرة من الجزر الثقافية المتمايزة ثم اختفى هذا الوضع نتيجة لكثافة الاتصالات التي أخرجت تلك الجزر من عزلتها ، وأدى ذلك الى نشوب صراع بين قوتين متعارضتين تتمثلان من ناحية في الرغبة في المحافظة على التمايز والخصوصية و الاستقلال الثقافي ، ومن ناحية ثانية تتمثل في ميل بعض الثقافات للهيمنة الثقافية ، وما تحمله من هيمنة سياسية على غيرها ، لذلك فإن الثقافة تستخدم هنا كأداة للهيمنة والتحكم والسيطرة وتحقيق مكاسب سياسية كثيرة ومختلفة ، وأنها تعتبر قوة سياسية ضارية ونوعاً من الاستعمار الخفي ، لكنها وعلى الجانب الآخر فهي أداة مقاومة ضد القوى الثقافية الأستعمارية والغازية ، فالحرب الثقافية هي حرب جديدة ، والتي يبدو أن زمنها قد راح وانقضى ، ولقد كان دورها في تحديد السياسة من جهة ومحاولات تطويع الثقافة لخدمة أغراض سياسية معينة من الجهة الأخرى ، من أهم الموضوعات التي اثارت أهتمام الكثيرين ومن زمن طويل ، نظرا لما تتضمنه من خلط في القيم والمعايير المختلفة ، وأنه من الطبيعي أزاء ذلك أن تخضع للتوجيه والتدخل السياسي ، حتى تتلاءم مع بقية النظم الأخرى ، وأن ذلك يكفل لها إمكانية تحقيق رسالتها على أكمل وجه ، فهي لا تعيش في فراغ وتستمد عناصرها الأساسية من المجتمع الذي توجد فيه ، وعلى الرغم من كل ما يقال عن أن الثقافة هي قيمة في ذاتها ، فلا بد من أن تشكل تبعا لأنماط الفكر والقيم والسلوك والتي تسود المجتمع وتتجاوب معها ، وهذا لا يتعارض مع إمكان تفاعلها مع الأوضاع الثقافية والسياسية والاجتماعية السائدة في العالم الخارجي ، وقد تقتضي بعض الأمور الى تدخل الدولة لوضع قيود وحدود على هذه العلاقات مع الثقافات الأخرى ، حتى تضمن نوعية ومجالات الاختيار والاحتكاك لها ، فسياسة الثقافة إذن لا تقتصر على الرغبة في خدمة واقعنا القائم في الدولة والدعاية له ، وإنما أيضاً لتجنيد الآراء لخلق واقع جديد والاستعانة بالأجهزة الثقافية المختلفة كالإعلام والتعليم ، وذلك لتفسير وقراءة مفردات الثقافة بما يتفق مع هذا الواقع الجديد ، وبما يعزز نظرة الدولة الى العالم والمستقبل ولقد انتبه الى ذلك المفكر والفيلسوف الإيطالي (أنطونيو جرامش) ، والذي وضع الأسس الفلسفية لما يعرف باسم (الهندسة الثقافية) ، لتمهيد الطريق لقيام الحكومة الاشتراكية في بيئة نظيفة ، على أساس أن التحول الى الاشتراكية في المجتمعات المتقدمة ليس من الضروري أن يتم عن طريق العنف أو المواجهة ، لكنه يمكن أن يتحقق من خلال تغيير الأفكار وإعادة تشكيل الوعي عن طريق أجهزة الدولة نفسها ، كالاتحادات العمالية ووسائل الإعلام المختلفة ، وتوجيه العلوم الاجتماعية نحو الهدف المنشود لها .

وعلى اي حال ، فهناك كثير من التخوف في بعض الاوساط الثقافية من تقبّل الاجيال الجديدة هذا الاتجاه او التوجه الجديد ، خاصة ان هذه العمليات السياسية تتم تحت شعارات براقة ، وأبسطها (الدعوة الى اصلاح التفكير) ، لكن الخطورة هي ان هذه العمليات الثقافية كثيرا ماتهدف الى غرس قيم واتجاهات جديدة ، وغالبا ما تكون غريبة عن القيم الراسخة في المجتمع ، وفيها تجاوز علة حقوق الانسان الثقافية ، بل انها كثيرا ماتستند الى دعاوى وافتراضات لم يسبق اختبارها ولا تستند الى فلسفة اجتماعية وسياسية واضحة ، او تقوم على مبادئ متوازنة تراعي تلك الحقوق ، ما قد يؤدي الى الصراع ونشوب العداوات وعدم الاستقرار .

وقد أعتبر الإعلان العالمي لحقوق الانسان الحقوق الثقافية حقوقا إنسانية عامة ، شأنها شأن الحقوق السياسية والمدنية وغيرها ، ما يعني ضرورة التزام الدول الموقعة على ذلك الاعلان بأحترام تلك الحقوق ومراعاتها ، وقد ظهرت فعلا بعض المنظمات الدولية والإقليمية والتي أخذت على عاتقها مسؤولية المحافظة على تلك الحقوق والدفاع عنها والعمل على تطويرها والارتقاء بها ، وقد عقدت عدة مؤتمرات عن السياسة الثقافية ، كان اولها في عام ١٩٨٢ في نيومكسيكو ، ثم أثيرت مشكلة الحقوق الثقافية في مؤتمر استوكهولم ، والذي عقد في اواخر شهر ابريل/ نيسان في عام ١٩٩٨ حول موضوع (السياسات الثقافية من اجل التنمية) ، وتحت شعار (قوة الثقافة) ، وقد كشفت هذه المؤتمرات عن كثير من الاجراءات التي تتخذها دول وحكومات العالم الثالث بوجه خاص لتغيير نمطها الثقافي الخاص بها ، وكذلك لتمرير بعض القرارات السياسية والتي تخدم اغراضها الخاصة بها ، والتي تتعارض مع القيم الثقافية السائدة ، والتي قد ترفض تلك القرارات ، وان ذلك هو الطريق الذي يسير فيه العالم الآن تحت وطأة متطلبات العولمة ورغبة الدول القوية في الهيمنة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا على حساب القيم والمبادئ الثقافية الاخرى ، والتي كانت دائما الاساس القوي الذي يقوم عليه بناء المجتمعات .

التطرّف القادم

حازم مبيضين

مؤكد أنه كلما تأخر التوصل إلى حل سلمي يضمن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، فإن التطرف سيجد البيئة المناسبة للنمو والانتشار، وسيجد الإرهاب كذلك من يرعاه ويأخذ بيده، ومؤكد أن العراقيل التي يستنبطها يومياً نتنياهو ووزراء حكومته المغرقون في التطرف، ستمنع الرئيس الفلسطيني محمود عباس من العودة إلى مائدة التفاوض المباشر، إذ ما الذي يمكن أن يجنيه في ظل استمرار الاستيطان غير الشرعي على أراضي الدولة العتيدة، وكيف يمكنه التنازل عن حق العودة أو التعويض لأبناء شعبه المطرودين من وطنهم، ما الذي سيفاوض عليه ما دام في حكومة اليمين الصهيوني المتطرف من لا يزال يشكك في وجود الشعب الفلسطيني، ويتجاهل كل تاريخ المنطقة باستثناء سنوات عابرة استوطن فيها اليهود أرض فلسطين.

الأردن المؤمن بالسلام، والعامل على سيادته، يعيد التأكيد يومياً أن استمرار الاستيطان، بكل صوره وأشكاله مرفوض وباطل، وهو يسعى على كل المستويات للتوصل إلى حل للمعضلة الفلسطينية، والولايات المتحدة التي ترعى حالياً العملية السياسية المتعثرة، ومعها المجتمع الدولي، تعتبر أن حل الدولتين والذي لا يمكن الوصول إليه مع استمرار الاستيطان هو الوحيد الممكن، والفلسطينيون قدموا من التنازلات أكثر من اللازم، والعرب قدموا مبادرتهم التاريخية لإنهاء الصراع في الشرق الأوسط، وسوريا مستعدة لاستئناف التفاوض برعاية تركية، ومع كل هذا فان نتنياهو يؤكد عدم استطاعته تمديد تجميد الاستيطان، وليس وقفه نهائياً، خوفاً من انفراط عقد حكومته، فعلى ماذا سيفاوض عباس إذاً؟.

الفرصة سانحة اليوم لإحلال السلام كما يعلن رئيس السلطة الفلسطينية، وهو يؤكد أنه إذا لم يحصل تقدم عاجل، فان النتيجة ستكون ازدياد اليأس وتقوية العناصر المتطرفة، وإذا كانت حكومة نتنياهو ومعها بعض هواة السياسة العرب، وثورجيي المقاهي، يأملون حل السلطة الفلسطينية، وهي بكل المقاييس مكسب للشعب الفلسطيني، فان عليهم أن يطمئنوا لان هذا الخيار غير وارد، كما أن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية غير وارد، والممكن اليوم هو الكشف عن استعداد السلطة للإعلان عن انتهاء الصراع مع إسرائيل، عند التوصل إلى تسوية سلمية بين الجانبين.

يستطيع نتنياهو ومعه ليبرمان وجميع الطاقم المتطرف في حكومته، عرقلة عملية التفاوض الرامية في خواتيمها إلى قيام الدولة الفلسطينية، وهو بذلك يضمن البقاء على رأس الحكومة مع ما في ذلك من مكاسب شخصية، لكنه بذلك يقدم خدمة مجانية للمتطرفين، ويخاطر بمستقبل أبناء شعبه، ويغامر باعتبار أن قوة دولته قادرة على مجابهة الفلسطينيين والعرب، ويتجاهل أن موازين القوة غير مستقرة، وهي قابلة للتغيير والتبديل، ويتجاهل أو يجهل أن اليأس سيدفع المنطقة برمتها إلى أتون معركة كبرى، ستكون إسرائيل الخاسر الأكبر فيها، حتى لو استمر رئيساً لحكومتها طوال عمره.

مرة أخرى لابد من التأكيد أن التفاوض بحد ذاته ليس هدفاً للفلسطينيين، الذين يذهبون إليه على أمل تحقيق طموحهم في إقامة دولتهم المستقلة، ولكنه يبدو هدفاً لحكومة نتنياهو المتهرب من استحقاق السلام والراغب بالحفاظ على تشكيلة حكومته بأي ثمن، والراغب بإقناع العالم بما هو غير متوفر عنده وهو الإيمان بالسلام كخيار ستراتيجي يستحق الكثير من التضحيات، ومرة أخرى لابد لنتنياهو من أن يفهم أن كل لحظة تضيع بدون التوصل للسلام ستقرب المنطقة من لحظة انفجار يتسيد فيها المتطرفون المشهد، وعندها لن ينفع الندم.